مجموعة القصص الدينية

بإشراف محمد أحمد برانق



٣

ذو القرنين

دار المعارف بمصر

مجموعة القصص الدينية

بإشراف
محمد أحمد برانق
المفتش العام بوزارة التربية والتعليم بمصر

ذو القرنين

تصدرها
دار المعارف بمصر

١

لَمْ يَكُنْ لَهُ قَرْنَانِ ، وَلَـكِنَّ قَوْمَهُ سَمَّوْهُ بِذَلِكَ إِعْجَاباً بِهِ ، وَتَحِيَّةً لِهِمَّتِهِ الْعَالِيَةِ . . . .

نَشَأَ فِي أُمَّةٍ مُسْتَعْبَدَةٍ ، طَغَتْ عَلَيْهَا أُمَّةٌ مُجَاوِرَةٌ لَهَا ، ذَاتُ سُلْطَانٍ وَجَبَرُوتٍ : فَسَلَبَتْهَا حُرِّيَّتَهَا ، وَبَسَطَتْ عَلَيْهَا سُلْطَانَهَا الْجَائِرَ . . . وَكَانَتْ تِلْكَ الْأُمَّةُ الذَّلِيلَةُ الضَّعِيفَةُ الْمُسْتَعْبَدَةُ ، لَا تَسْتَطِيعُ أَنْ تَدْفَعَ عَنْ نَفْسِهَا شَيْئاً ، وَلَا أَنْ تَنْهَضَ لِاسْتِرْدَادِ مَا فَقَدَتْ مِنْ حُرِّيَّتِهَا وَكَرَامَتِهَا . . . فَلَمَّا ظَهَرَ فِيهَا ذَلِكَ الشَّابُّ ، وَرَأَى مَا عَلَيْهِ أُمَّتُهُ مِنْ ضَعْفٍ وَمَهَانَةٍ وَاسْتِعْبَادٍ ، حَزِنَ لَهَا ، وَعَزَمَ عَلَى أَنْ يُحَرِّرَهَا مِمَّا هِيَ فِيهِ . . . .

٢

قَامَ الشَّابُّ يَدْعُو فِي قَوْمِهِ إِلَى الْحُرِّيَّةِ ، وَيُشِيدُ بِفَضَائِلِ الْعِزَّةِ وَالْكَرَامَةِ ، وَيُنَادِي بِالِالْتِفَافِ حَوْلَهُ وَتَأْيِيدِهِ فِي حَرَكَةِ التَّحَرُّرِ مِنْ سُلْطَانِ الْمُجَاوِرِ لَهُمْ ، الْجَائِرِ عَلَيْهِمْ .

وَلَكِنَّ قَوْمَهُ كَانُوا قَدْ أَلِفُوا الذُّلَّ ، وَيَئِسُوا مِنْ أَنْفُسِهِمْ ، وَوَقَعَ فِي صُدُورِهِمْ أَنَّ هَذِهِ الْأُمَّةَ الْمُجَاوِرَةَ قَوِيَّةٌ لَا تُغْلَبُ ، وَنَصَحُوا لَهُ أَنْ يَرْجِعَ عَنْ تِلْكَ الدَّعْوَةِ ، وَأَخْبَرُوهُ أَنَّ مَلِكَ هَذِهِ الْأُمَّةِ إِذَا عَلِمَ بِذَلِكَ أَرْسَلَ إِلَيْهِمْ جَيْشًا مِنْ جُيُوشِهِ الْجَرَّارَةِ فَسَحَقَهُمْ ، وَقَتَلَهُمْ ، وَأَنْزَلَ بِهِمُ الْخَرَابَ وَالدَّمَارَ .

وَهُنَا عَرَفَ الشَّابُّ أَنَّ قَوْمَهُ لَمْ يَفْقِدُوا حُرِّيَّتَهُمْ وَاسْتِقْلَالَهُمْ فَحَسْبُ ، بَلْ فَقَدُوا أَيْضًا إِيمَانَهُمْ بِأَنْفُسِهِمْ ، وَإِيمَانَهُمْ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، حَتَّى صَارَ الْغَاشِمُ الْمُتَحَكِّمُ فِيهِمْ أَكْبَرَ شَيْءٍ فِي صُدُورِهِمْ ، وَحَتَّى صَارُوا وَلَيْسَ لَهُمْ مِنْ هَمٍّ إِلَّا أَنْ يَأْكُلُوا ، وَيَشْرَبُوا ، وَيَعِيشُوا فِي ظِلِّ الْهَوَانِ وَالْخِزْيِ .

عَرَفَ الشَّابُّ ذَلِكَ كُلَّهُ فَلَمْ يَيْأَسْ وَلَمْ يَضْعُفْ ، بَلْ إِنَّ عَزْمَهُ عَلَى تَحْرِيرِ أُمَّتِهِ زَادَ حَمَاسَةً وَقُوَّةً ؛ فَقَدْ وَهَبَ اللهُ لَهُ إِيمَاناً رَاسِخاً ، وَعَقِيدَةً صَادِقَةً ، وَهِمَّةً عَالِيَةً ، وَرَزَقَهُ عَقْلاً سَلِيماً ، وَرَأْياً حَسَناً رَشِيداً ، وَآتَاهُ قُوَّةً فِي بَدَنِهِ : فَكَانَ مَفْتُولَ الذِّرَاعَيْنِ ، وَاسِعَ الْمَنْكِبَيْنِ ، مَشْدُودَ الْعَضَلِ ، مَرْفُوعَ الْقَامَةِ ؛ فَأَقْبَلَ عَلَى قَوْمِهِ يُبَشِّرُ فِيهِمْ بِتَوْحِيدِ اللهِ ، وَيَدْعُوهُمْ إِلَى الْإِيمَانِ بِهِ وَحْدَهُ ؛ فَهُوَ الَّذِي يُمِدُّهُمْ بِالْقُوَّةِ عَلَى الْعَدُوِّ ، وَلَهُ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ، وَمَا سِوَاهُ مِنَ الْخَلَائِقِ ضِعَافٌ لَا حَوْلَ لَهُمْ وَلَا قُوَّةَ أَمَامَ بَأْسِهِ ؛ فَإِنْ نَحْنُ أَقْبَلْنَا عَلَى أَنْفُسِنَا ، وَآمَنَّا بِرَبِّنَا وَحَقِّنَا ، أَمَدَّنَا بِقُوَّةٍ مِنْ قُوَّتِهِ ، وَأَيَّدَنَا بِجُنُودٍ مِنْ عِنْدِهِ ، وَنَصَرَنَا عَلَى الْأُمَّةِ الظَّالِمَةِ الْجَائِرَةِ الْمُتَجَبِّرَةِ .

وَاسْتَمَرَّ الشَّابُّ الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ يَدْعُو فِي قَوْمِهِ بِدَعْوَةِ الْإِيمَانِ وَالتَّحْرِيرِ ؛ فَنَفَرَ مِنْهُ جُمْهُورُ النَّاسِ ، وَسَخِرَ بِهِ كَثِيرٌ مِنْهُمْ . وَكَانَ كُلَّمَا أَمْعَنَ فِي دَعْوَتِهِمْ ، وَبَالَغَ فِي نَصِيحَتِهِمْ ، ازْدَادُوا مِنْهُ نُفُوراً ، وَعَنْهُ إِعْرَاضاً ؛ وَلَكِنَّهُ لَمْ يَيْأَسْ ، فَظَلَّ

ثابتاً على دعوته ، مؤمناً بأن النصر آتٍ لا ريب فيه .

واتجه إلى الشباب ينير أذهانهم ، ويحيي هممهم ، وينفخ فيهم من روح الإيمان والصدق ؛ فاستمعوا له ، وأقبلوا عليه وأحبوه ، وآمنوا بدعوته ، فنما شأنه في الأمة وقوى أمره ، وبدأ العقلاء يدركون أن ما يدعو إليه هو الحق . . . ولكن ظل الكثيرون على النفور منه ، والسخرية به . .

وذات ليلة رأى الشاب في منامه رؤيا عجيبة .

رأى كأنه سما إلى فلك الشمس العالية ، أو كأن الشمس هي التي دنت إليه حتى أمسك قرنيها بيديه القويتين المباركتين . .

فاستيقظ من فوره يقص رؤياه على أنصاره وهو منشرح مبتهج . .

وفسر العقلاء ذلك بأن أمره سيقوى ويعظم ، حتى يملك قرنى الدنيا : مشرقها ومغربها . . . وسخر الجهلة من ذلك ، وقالوا : بل تأويل الرؤيا أن الملك الظالم سيضربه



أمسك قرنى الشمس بيديه القويتين المباركتين

عَلَى قَرْنَىْ رَأْسِهِ ضَرْبًا يَسِيلُ بِهِ الدَّمُ ، أَوْ أَنَّهُ سَيَقْتُلُه وَيُعَلِّقُهُ فِي الْفَضَاءِ مِنْ قَرْنَىْ شَعْرِهِ . . .

وَصَارَ اسْمُهُ فِي قَوْمِهِ مِنْ يَوْمِئِذٍ (ذَا الْقَرْنَيْنِ) . . .

٣

وَظَلَّ نُفُوذُ ذِى الْقَرْنَيْنِ يَعْظُمُ فِى بِلَادِهِ حَتَّى آلَتْ إِلَيْهِ زَعَامَةُ الْأُمَّةِ كُلِّهَا. وَبَايَعَهُ أَهْلُهَا عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، وَمُجَاهَدَةِ الْعَدُوِّ، حَتَّى يَنَالُوا حُقُوقَهُمْ فِى الْحُرِّيَّةِ وَالِاسْتِقْلَالِ..

وَكَانَتْ تِلْكَ الْبِلَادُ تَدْفَعُ خَرَاجًا مِنْ أَمْوَالِهَا كُلَّ عَامٍ لِلْمَلِكِ الْمُجَاوِرِ، وَكَانَ مِمَّا تَدْفَعُهُ عِدَّةُ بَيْضَاتٍ مِنَ الذَّهَبِ الْخَالِصِ؛ فَلَمَّا حَانَ مَوْعِدُ دَفْعِ الْخَرَاجِ — حَضَرَ رُسُلٌ مِنْ قِبَلِ الْمَلِكِ لِقَبْضِهِ، فَطَرَدَهُمْ ذُو الْقَرْنَيْنِ، وَكَتَبَ لِلْمَلِكِ يَقُولُ لَهُ:

إِنِّى قَدْ ذَبَحْتُ الدَّجَاجَةَ الَّتِى كَانَتْ تَبِيضُ ذَلِكَ الْبَيْضَ، وَأَكَلْتُ لَحْمَهَا، وَلَمْ يَعُدْ لَكَ عِنْدِى شَىْءٌ...

فَلَمَّا قَرَأَ الْمَلِكُ خِطَابَ ذِى الْقَرْنَيْنِ غَضِبَ، وَلَكِنَّهُ اسْتَهَانَ لَمَّا عَلِمَ أَنَّهُ مَا زَالَ شَابًّا صَغِيرًا، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ كِتَابًا يُوَبِّخُهُ فِيهِ، وَيَسْتَهْزِئُ بِهِ، وَيَقُولُ لَهُ:

إِنِّى قَدْ أَرْسَلْتُ لَكَ بِصَوْلَجَانٍ وَكُرَةٍ وَكَيْلَةٍ مِنَ السِّمْسِمِ ... فَالْكُرَةُ وَالصَّوْلَجَانُ لِتَلْعَبَ بِهِمَا ؛ فَإِنَّهُ لَا يَلِيقُ بِمِثْلِكَ سِوَى اللَّعِبِ ؛ أَمَّا الْمُلْكُ فَلَسْتَ مِنْ أَهْلِهِ ؛ وَاحْذَرْ أَنْ تَسْتَرْسِلَ فِى غُرُورِكَ !! وَإِلَّا بَعَثْتُ إِلَيْكَ مَنْ يَأْتِى بِكَ مُكَبَّلًا فِى الْأَغْلَالِ ، وَلَوْ كَانَ جُنُودُكَ وَأَنْصَارُكَ بِعَدَدِ حَبِّ السِّمْسِمِ الَّذِى أَرْسَلْتُهُ إِلَيْكَ ..

فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ ذُو الْقَرْنَيْنِ يَقُولُ لَهُ :

قَدْ عَلِمْتُ مَا جَاءَ بِكِتَابِكَ ، وَاعْلَمْ أَنَّ الْأَمْرَ لَيْسَ كَمَا فَهِمْتَ أَنْتَ : فَالصَّوْلَجَانُ هُوَ صَوْلَجَانُ الْمُلْكِ ، أَقْبِضُ عَلَيْهِ إِنْ شَاءَ اللهُ ... وَالْكُرَةُ هِيَ أَرْضُكَ وَبِلَادُكَ ، أَضْرِبُهَا بِصَوْلَجَانِى ؛ فَأَسْتَوْلِى عَلَيْهَا بِنَصْرِ اللهِ جَلَّ شَأْنُهُ ، وَلَوْ كَانَ عَدَدُ جُنُودِكَ بِعَدَدِ حَبِّ السِّمْسِمِ الَّذِى أَرْسَلْتَهُ إِلَيَّ ...

وَنَادَى ذُو الْقَرْنَيْنِ فِى النَّاسِ بِالِاسْتِعْدَادِ لِلْحَرْبِ ، فَتَجَهَّزَ النَّاسُ ، وَأَعَدُّوا أَسْلِحَتَهُمْ ، وَانْتَظَرُوا الْأَمْرَ بِخُرُوجِهِمْ .

فَلَمَّا بَلَغُوا مَا بَلَغُوا مِنَ الِاسْتِعْدَادِ ، وَتَهَيَّئُوا لِلْخُرُوجِ

سَارَ بِهِمْ ذُو الْقَرْنَيْنِ ، وَقَدْ صَارُوا جَيْشاً جَرَّاراً كَامِلَ الْعَدَدِ وَالْعُدَدِ إِلَى بِلَادِ الْمَلِكِ الظَّالِمِ ؛ فَلَمَّا عَلِمَ أَهْلُهَا بِذَلِكَ أَلْقَى اللهُ الرُّعْبَ فِي قُلُوبِهِمْ ، وَذَهَبَ رُؤَسَاؤُهُمْ وَعُلَمَاؤُهُمْ إِلَى الْمَلِكِ يَقُولُونَ لَهُ :

إِنَّ مِنَ الْخَيْرِ أَنْ تُصَالِحَ ذَا الْقَرْنَيْنِ ! فَإِنَّهُ لَا طَاقَةَ لَنَا بِهَذَا الرَّجُلِ وَلَا بِجُنُودِهِ الْأَشِدَّاءِ ، وَالْبِلَادُ مُسْتَعِدَّةٌ أَنْ تَدْفَعَ لَهُ خَرَاجاً مِثْلَ الْخَرَاجِ الَّذِي كُنَّا نَأْخُذُهُ مِنْهُ . . .

فَلَمَّا سَمِعَ الْمَلِكُ ذَلِكَ هَاجَ وَغَضِبَ ، وَأَمَرَ بِجَمْعِ الْجَيْشِ ؛ فَأَخَذَ النَّاسُ يَسْتَعِدُّونَ لِلْحَرْبِ .

وَجَاءَتْ جَوَاسِيسُ ذِي الْقَرْنَيْنِ ؛ فَأَخْبَرُوهُ بِمَا كَانَ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ وَمَلِكِهَا الْجَبَّارِ الطَّاغِيَةِ ، وَمَا حَدَثَ بَيْنَهُمْ مِنْ خِلَافٍ ، وَمَا وَقَعَ فِي قُلُوبِ الشَّعْبِ مِنَ الرُّعْبِ وَالْفَزَعِ فَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّ اللهَ — سُبْحَانَهُ — هُوَ الَّذِي أَلْقَى الرُّعْبَ فِي قُلُوبِ أَعْدَائِهِ لِأَنَّهُمْ أَهْلُ شَهَوَاتٍ وَمَعْصِيَةٍ وَإِثْمٍ ، وَدِينُهُمْ دِينٌ فَاسِدٌ ، يَعْبُدُونَ آلِهَةً مِنْ دُونِ اللهِ ، وَأَوْصَاهُمْ بِتَقْوَى

اللهِ ، وَالصَّبْرِ عِنْدَ مُلاقَاةِ عَدُوِّهِم ، وَبَشَّرَهُمْ بِالنَّصْرِ إِنْ هُمْ عَمِلُوا بِمَا يُوصِيهِمْ بِهِ . .

وَلَمَّا الْتَقَى الْجَمْعَانِ كَانَت وَطْأَةُ الْمُؤْمِنِينَ شَدِيدَةً عَلَى الْكَافِرِينَ ؛ فَوَلَّوْا هَارِبِينَ ؛ وَسَقَطَ مَلِيكُهُمْ قَتِيلًا فِي الْمَيْدَانِ ، وَبِذَلِكَ حَرَّرَ ذُو الْقَرْنَيْنِ بِلَادَهُ ، وَمَلَكَ الْبِلَادَ الْمُجَاوِرَةَ فَنَشَرَ بِهَا الْأَمْنَ وَالْعَدَالَةَ ، وَفَرِحَ الْمُؤْمِنُونَ بِنَصْرِ اللهِ .

٤

لَو كَانَ ذُو القَرْنَيْنِ شَابًّا يُرِيدُ تَحْرِيرَ بِلَادِهِ فَقَطْ لَوَقَفَت هِمَّتُهُ عِنْدَ هَذَا الحَدِّ الَّذِى وَصَلَ إِلَيهِ .

وَلَوْ كَانَ يَبْغِي أُبَّهَةَ الْمُلْكِ وَعِزَّةَ الجَاهِ وَالسُّلطَانِ لَكَانَ حَسْبُهُ أَنَّهُ صَارَ مَلِكاً عَلَى هَذِهِ البِلَادِ الْمُجَاوِرَةِ وَ بِلَادِهِ .

وَلَـٰكِنَّ ذَا الْقَرْنَيْنِ كَانَ شَابًّا مُؤْمِنًا بِاللهِ حَقَّ الْإِيمَانِ ، وَالْمُؤْمِنُ يَجِدُ سَعَادَتَهُ فِى إِيمَانِهِ ، لَا فِى زُخْرُفِ الْجَاهِ وَالْمُلْكِ الْبَاطِلِ ؛ وَلَا يَقْنَعُ بِأَنْ تَتَطَهَّرَ بِلَادُهُ مِنَ الْفَسَادِ ، وَتَظَلَّ أَرْضُ اللهِ مُلَوَّثَةً بِهِ فِى كُلِّ مَكَانٍ . فَعَزَمَ أَنْ يَسِيحَ فِى الْأَرْضِ بِجَيْشِهِ الْمُظَفَّرِ لِكَىْ يُطَهِّرَ شَرْقَهَا وَغَرْبَهَا بِكَلِمَةِ اللهِ ، وَيَمْلِكَ بِيَمِينِهِ قَرْنَىِ الدُّنْيَا كَمَا رَأَى فِى مَنَامِهِ الْقَدِيمِ .

عِنْدَ مَغْرِبِ الشَّمْسِ ، أَعَدَّ ذُو الْقَرْنَيْنِ عُدَّتَهُ ، وَأَخَذَ لِكُلِّ أَمْرٍ سَبَبَهُ ، وَذَكَرَهُ اللهُ فِى الْقُرْآنِ ، فَقَالَ :

« إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِى الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا » .

وَسَارَ بِجَيْشِهِ مُتَّجِهًا نَحْوَ الْغَرْبِ ، فَانْتَهَى بِهِ الْمَسِيرُ إِلَى سُهُولٍ فَسِيحَةٍ ، وَاسِعَةِ الْأَرْجَاءِ ، لَا تَأْتِي الْعَيْنُ عَلَى نِهَايَتِهَا ؛ وَكَانَتْ أَرْضُهَا حَمِئَةً : أَي ذَاتَ طِينٍ أَسْوَدَ ، يُغَطِّي وَجْهَ الْأَرْضِ فِي جَمِيعِ بِقَاعِهَا .

فَلَمَّا حَانَ غُرُوبُ الشَّمْسِ وَقَفَ يَتَأَمَّلُ الْأُفُقَ الْغَرْبِيَّ ، وَيَشْهَدُ قُدْرَةَ اللهِ فِي ذَلِكَ الشَّفَقِ الْأُرْجُوَانِيِّ الْجَمِيلِ الَّذِي يَغْشَى أَطْرَافَ السَّمَاءِ ، وَهِيَ تَتَدَلَّى مِنْ بَعِيدٍ لِتَلْتَقِيَ بِسُهُولِ الْحَمَأِ الْفَسِيحَةِ السَّوْدَاءِ ، وَيَرَى الشَّمْسَ وَهِيَ تَنْحَدِرُ إِلَى مَغِيبِهَا رُوَيْدًا رُوَيْدًا ؛ كَأَنَّمَا تَغُوصُ فِي تِلْكَ الْأَرْضِ الْحَمِئَةِ . وَقَدْ ذَكَرَ اللهُ ذَلِكَ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ فَقَالَ :

« حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ . » حَتَّى لَقَدْ بَلَغَتْ جُيُوشُ ذِي الْقَرْنَيْنِ — إِذَنْ — غَرْبَ هَذِهِ الْأَرْضِ ، أَوْ غَرْبَ الْمَعْمُورِ مِنْهَا ، وَهُوَ أَحَدُ قَرْنَيِ الدُّنْيَا اللَّذَيْنِ رَأَى فِي الْمَنَامِ أَنَّهُ مَلَكَهُمَا . وَوَجَدَ عَلَى حُدُودِ الْأَرْضِ الْحَمِئَةِ أُمَّةً كَبِيرَةً مِنَ النَّاسِ ، يُقِيمُونَ عَلَى الْكُفْرِ بِاللهِ —

سُبْحَانَهُ — فَأَظْفَرَهُ اللهُ بِهِمْ، وَمَكَّنَهُ مِنْهُمْ، وَحَكَّمَهُ فِيهِمْ، وَخَيَّرَهُ بَيْنَ أَنْ يُعَذِّبَهُمْ بِسَبَبِ مَا هُمْ فِيهِ مِنَ الْكُفْرِ وَالضَّلَالَةِ؛ فَيَقْتُلَهُمْ؛ أَوْ يَأْسِرَهُمْ، وَيَسْبِيَ نِسَاءَهُمْ وَذُرِّيَّتَهُمْ؛ وَبَيْنَ أَنْ يَصْطَنِعَ مَعَهُمْ صَنِيعاً أَحْسَنَ مِنْ هَذَا.

وَلَكِنَّ ذَا الْقَرْنَيْنِ رَجُلٌ صَالِحٌ، يُحِبُّ مَا يُصْلِحُ النَّاسَ وَيُسْعِدُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ؛ وَلَيْسَ لَهُ مَآرِبُ فِي اسْتِعْبَادِهِمْ وَتَعْذِيبِهِمْ، وَالِاسْتِيلَاءِ عَلَى أَوْطَانِهِمْ، فَإِنَّهُ لَمْ يَجِئْ تِلْكَ الْأَرْجَاءَ بَاغِياً وَلَا مُسْتَعْمِراً، بَلْ جَاءَ مُصْلِحًا مُبَشِّرًا بِتَوْحِيدِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ. وَهَذَا هُوَ الْفَرْقُ بَيْنَ الْمُسْتَعْمِرِينَ وَالْمُؤْمِنِينَ.

فَالْمُسْتَعْمِرُونَ قَوْمٌ أَدْنِيَاءُ، لَا خَلَاقَ لَهُمْ، يَهَبُ اللهُ لَهُمُ الْقُوَّةَ فَيُسَلِّطُونَهَا بَلَاءً عَلَى الضُّعَفَاءِ مِنْ شُعُوبِ الْأَرْضِ، فَيَسْتَوْلُونَ عَلَى بِلَادِهِمْ، وَيُذِلُّونَ كَرَامَتَهُمْ، وَيَسْجُنُونَ أَحْرَارَهُمْ أَوْ يَقْتُلُونَهُمْ؛ وَهُوَ عَمَلٌ دَنِيءٌ يُبْغِضُهُ اللهُ — سُبْحَانَهُ — فَإِنَّهُ قَدْ جَعَلَ الْقُوَّةَ لِتَكُونَ وَسِيلَةً لِنَشْرِ الْفَضَائِلِ، وَتَأْيِيدِ الْحَقِّ، وَحِرَاسَةِ الْحُرِّيَّةِ وَالْكَرَامَةِ؛ وَلَمْ يَجْعَلْهَا لِإِذْلَالِ

عِبَادِهِ الَّذِينَ كَرَّمَهُمْ ، وَفَضَّلَهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقَ .

أَمَّا الْمُؤْمِنُونَ الْأَقْوِيَاءُ فَإِنَّهُمْ لَا يَرْضَوْنَ لِقُوَّتِهِمْ إِلَّا أَنْ تَكُونَ نِعْمَةً لِلنَّاسِ ، وَسَبَبًا فِي إِسْعَادِهِمْ بِنُورِ الْحَقِّ وَالْإِيمَانِ . وَلِذَا تَوَقَّفَ ذُو الْقَرْنَيْنِ فِي تَعْذِيبِ هؤُلَاءِ الْكَفَرَةِ ، وَفَضَّلَ أَنْ يَدْعُوَهُمْ إِلَى الْإِيمَانِ أَوَّلًا ، وَأَنْ يَنْصَحَهُمْ ، وَيُوَضِّحَ لَهُمُ الْحَقَائِقَ ، فَمَنْ رَفَضَ الْإِيمَانَ وَأَبَى إِلَّا الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ عَنْ طَاعَةِ اللهِ — أَنْزَلَ بِهِ مَا شَاءَ مِنَ الْعَذَابِ ، ثُمَّ يُرَدُّ إِلَى اللهِ فَيُعَذِّبُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَذَابًا نُكْرًا .

وَأَمَّا مَنِ اسْتَجَابَ لِلْإِيمَانِ وَعَمِلَ بِمَا سَنَّهُ اللهُ مِنَ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ أَكْرَمَهُ ، وَرَفَعَ مَنْزِلَتَهُ ، وَلَهُ عِنْدَ اللهِ فِي الْآخِرَةِ أَحْسَنُ الْجَزَاءِ . . .

هَذَا هُوَ مَا صَنَعَهُ مَعَ سُكَّانِ تِلْكَ الْجِهَاتِ ، وَقَدْ ذَكَرَ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ ذَلِكَ :

« حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ ، وَوَجَدَ عِنْدَهَا قَوْمًا ؛ قُلْنَا : يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ ؛ إِمَّا أَنْ



من استجاب للإيمان أكرمه الله ورفع منزلته

تُعذِّبَ وَإِمَّا أَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْناً . قَالَ : أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ، ثُمَّ يُرَدُّ إِلَى رَبِّهِ ، فَيُعَذِّبُهُ عَذَاباً نُكْرًا . وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءً الْحُسْنَى ، وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا » .

وَشَرَعَ ذُو الْقَرْنَيْنِ فِي إِصْلَاحِ تِلْكَ الْبِلَادِ . وَعِمَارَتِهَا بِمُخْتَلِفِ الْمُنْشَآتِ النَّافِعَةِ فِي مَجَالِ الزِّرَاعَةِ وَالصِّنَاعَةِ وَالْعِلْمِ وَغَيْرِ ذَلِكَ ، فَإِنَّهُ كَانَ حِينَ نَهَضَ فِي بِلَادِهِ ، يَدْعُو إِلَى اللهِ ، لَا يَكْتَفِي بِالْخِطَابَةِ وَالْأَلْفَاظِ وَالْكَلَامِ الرَّنَّانِ ، بَلْ جَعَلَهَا دَعْوَةً قَائِمَةً عَلَى الْأَخْذِ بِسُنَنِ اللهِ فِي كُلِّ شَيْءٍ . فَاعْتَنَى بِالْعِلْمِ ؛ فَكَانَ عِنْدَهُ عُلَمَاءُ فِي كُلِّ فَنٍّ مِنَ الْفُنُونِ الَّتِي كَانَتْ مَعْرُوفَةً فِي ذَلِكَ الزَّمَنِ الْبَعِيدِ . وَاعْتَنَى بِالصِّنَاعَةِ ، فَكَانَ عِنْدَهُ صُنَّاعٌ مَهَرَةٌ فِي كُلِّ مَا عُرِفَ فِي زَمَانِهِمْ مِنْ أَنْوَاعِ الصِّنَاعَةِ . . .

وَاعْتَنَى بِالْجَيْشِ ، وَآلَاتِ الْحُرُوبِ ، وَفُنُونِ الْقِتَالِ ، فَكَانَ أَقْوَى جَيْشٍ فِي عَصْرِهِ .

وَكَانَ لَا يُقْبِلُ عَلَى أَمْرٍ إِلَّا أَخَذَ لَهُ عُدَّتَهُ، وَأَسْبَابَهُ الْعِلْمِيَّةَ وَالْفَنِّيَّةَ وَالْمَادِّيَّةَ الَّتِي تَكْفُلُ نَجَاحَهُ.

فَكَانَ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كُلِّهِ مُصْلِحًا مُنْشِئًا مُنْتَصِرًا حَيْثُمَا حَلَّ، وَأَيْنَمَا سَارَ. وَقَدْ أَشَارَ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ إِشَارَةً دَقِيقَةً إِلَى هَذَا الْمَعْنَى فَقَالَ: «إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ، وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا» أَيْ آتَاهُ مِنْ أَسْبَابِ النَّجَاحِ فِي كُلِّ شَيْءٍ أَرَادَهُ سَبَبًا يَصِلُ بِهِ إِلَى مَطْلُوبِهِ.

فَلَمَّا حَلَّ بِبِلَادِ الْمَغْرِبِ شَرَعَ فِي عِمَارَتِهَا بِمُخْتَلِفِ الْمُنْشَآتِ النَّافِعَةِ كَمَا قَدَّمْنَا، وَأَوَّلُ تِلْكَ الْمُنْشَآتِ وَأَفْضَلُهَا وَأَوْلَاهَا بِالذِّكْرِ (الْمَسْجِدُ) فَإِنَّ الْمَسْجِدَ فِي كُلِّ مَكَانٍ، هُوَ مَهْبِطُ الرَّحْمَةِ، وَمَنْبَعُ الْحَيَاةِ الرُّوحِيَّةِ، وَمَا لَمْ تُؤَسَّسْ نَهَضَاتُ الْبِلَادِ عَلَى أُسُسٍ مِنَ الْعِبَادَةِ السَّلِيمَةِ، وَالْعَقَائِدِ الصَّالِحَةِ، فَلَا خَيْرَ فِيهَا وَلَا بَرَكَةَ.

أَمَرَ ذُو الْقَرْنَيْنِ بِبِنَاءِ مَسْجِدٍ كَبِيرٍ ضَخْمٍ؛ يَقُولُونَ إِنَّ طُولَهُ أَرْبَعُمِائَةِ ذِرَاعٍ، وَعَرْضَهُ مِائَتَا ذِرَاعٍ، وَارْتِفَاعَهُ إِلَى

السَّمَاءِ مِائَةُ ذِرَاعٍ ، وَعَرْضَ أَسَاسِ الْبِنَاءِ فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةً وَعِشْرُونَ ذِرَاعاً ، وَقَامَ الْعُمَّالُ لِفَوْرِهِمْ بِبِنَاءِ الْمَسْجِدِ تَحْتَ إِشْرَافِ كِبَارِ الْمُهَنْدِسِينَ ؛ فَلَمَّا ارْتَفَعَ الْبِنَاءُ إِلَى الْقَدْرِ الَّذِي أَمَرَ بِهِ صَنَعُوا لَهُ سَقْفاً كَهَيْئَةِ السُّقُفِ الَّتِي نَصْنَعُهَا فِي أَيَّامِنَا هَذِهِ بِالْأَسْمَنْتِ الْمُسَلَّحِ غَيْرَ أَنَّنَا نَبْنِي تِلْكَ السُّقُفَ بِالْأَسْمَنْتِ الْمُخْتَلِطِ بِالْمَاءِ وَالرَّمْلِ وَحَصَى الصُّخُورِ الصُّلْبَةِ . أَمَّا هُمْ فَقَدْ أَذَابُوا النُّحَاسَ وَصَبُّوهُ عَلَى هَيْئَةِ كُتَلٍ وَعُرُوقٍ وَشَرَائِحَ مَتِينَةٍ .

وَلَمْ يَكُونُوا اهْتَدَوْا إِلَى الطَّرِيقَةِ السَّهْلَةِ الَّتِي نَبْنِي بِهَا الْآنَ سُقُفَنَا الْمُسَلَّحَةَ ، فَلَجَأُوا إِلَى رَدْمِ الْمَسْجِدِ كُلِّهِ بِالتُّرَابِ إِلَى عُلُوِّ مِائَةِ مِتْرٍ ، ثُمَّ جَعَلُوا فَوْقَ التُّرَابِ قَنَوَاتٍ عَلَى هَيْئَةِ الْكُتَلِ وَالْعُرُوقِ وَالشَّرَائِحِ الَّتِي يُرِيدُونَهَا ، ثُمَّ صَبُّوا النُّحَاسَ فِيهَا ؛ فَلَمَّا جَمَدَ أُخْرِجَ التُّرَابُ مِنَ الْمَسْجِدِ ، وَبَقِيَ السَّقْفُ قَائِماً مُتَمَاسِكاً ؛ وَبَعْدَ ذَلِكَ بَيَّضُوا حِيطَانَ الْمَسْجِدِ ، وَبَلَّطُوا أَرْضَهُ ؛ فَإِذَا بِهِ بَعْدَ تَبْلِيطِهِ وَتَبْيِيضِهِ أَجْمَلُ مَا رَأَى أَهْلُ تِلْكَ الْبِلَادِ مِنَ الْمَبَانِي .

٥

هـكذا وَطَّدَ ذُو القَرْنَيْنِ نُفُوذَه فِى بِلَاد الْمَغْرب ، وَمَكَّنَ لِكَلِمَةِ التَّوْحِيدِ ؛ فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ شَأْنِهِ هُنَالِكَ عَزَمَ عَلَى الْمَسِيرِ إِلَى بِلَادِ الْمَشْرِقِ ، لِيُحَرِّرَهَا مِمَّا عَسَى أَنْ يَكُونَ فِيهَا مِنَ الْوَهْمِ ، وَفَسَادِ الْعَقَائِد ، وَأَنْوَاعِ الظُّلْم ، وَلِيُعَمِّرَهَا بِمَا شَاءَ اللهُ مِنْ أَلْوَانِ الْعِمارَةِ الرُّوحِيَّةَ والْحِسِّيَّةِ .

سَارَ ذُو القَرْنَيْنِ بِجَيْشِهِ إِلَى الشَّرْقِ ، وَمَعَهُ ما يَحْتَاجُ إِلَيْهِ الْجَيْشُ — فِى رِحْلَتِهِ الطَّوِيلَةِ ، وحُرُوبه الْمُتَّصِلَةِ — مِنَ الْمُهَنْدِسِينَ والْأَطِبَّاء ورِجَالِ الصِّنَاعَةِ والْفَنِّ ، فَأَخَذَ يَدْعُو إِلَى اللهِ كُلَّ أُمَّةٍ يَمُرُّ بها ، فَإِذَا آمَنَتْ فَهِىَ آمنةٌ عَلَى نفسها ودِيَارِهَا وأَمْوَالِهَا ، وإِذَا أَصَرَّتْ عَلَى الكُفْرِ عَذَّبَهُمْ عذاباً نُكْراً .

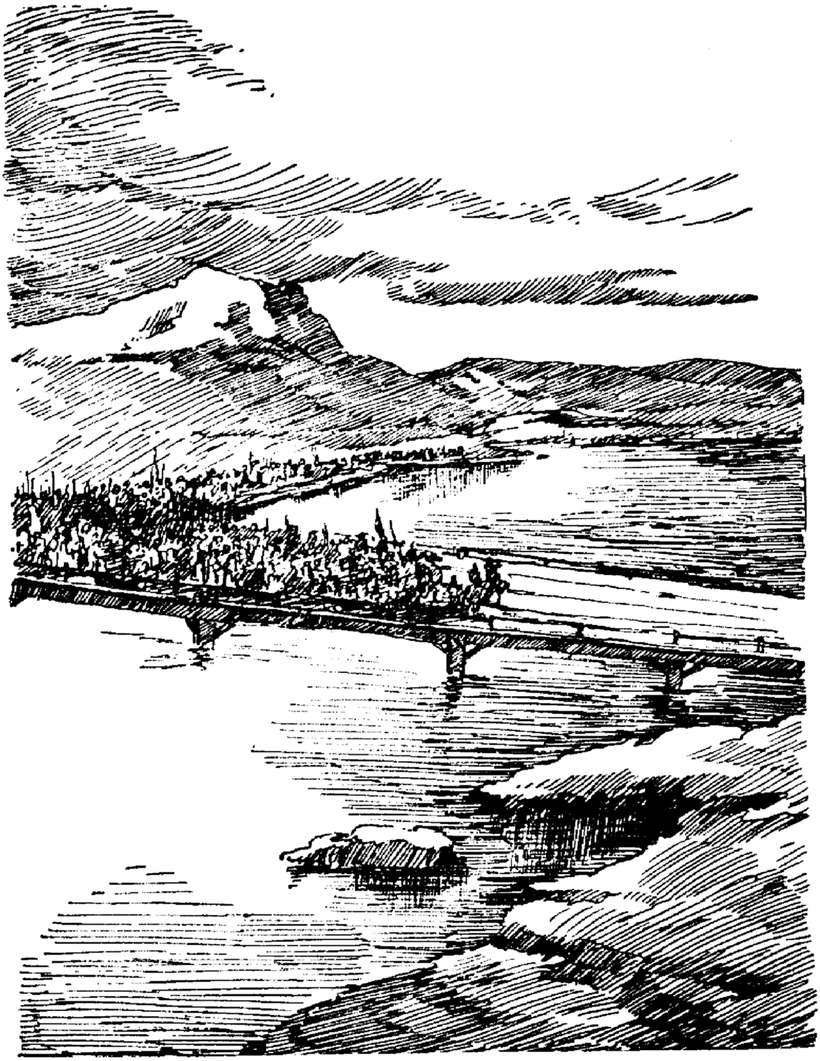
وكانَ إذا اعْتَرَضَهُ فِى الطَّرِيقِ نَهْرٌ أَوْ مَخَاضَةٌ عَبَرَهُ بِسُرْعَةٍ دُونَ تَوَقُّف : ذَلِكَ لِأَنَّ الْمُهَنْدِسِينَ كانُوا أَعَدُّوا لِذَلِكَ عُدَّتَهُ ، فَحَمَلُوا مَعَهُمْ أَلْوَاحاً مَحْنِيَّةً مِنَ الْخَشَبِ ، إِذَا ضُمَّ بَعْضُهَا إِلَى

بَعْضٍ تَأَلَّفَ مِنْهَا سَفِينَةٌ مُحْكَمَةٌ فِي أَقْرَبِ وَقْتٍ ، فَإِذَا عَبَرَ الْجَيْشُ عَلَيْهَا تَوَلَّى الْمُهَنْدِسُونَ فَكَّ الْأَلْوَاحِ ، وسَارُوا بِهَا إِلَى نَهْرٍ آخَرَ أَوْ مَخَاضَةٍ أُخْرَى .

وَمَا زَالَ كَذَلِكَ يَمُرُّ فِي طَرِيقِهِ نَحْوَ الشَّرْقِ بِأُمَمٍ مُخْتَلِفَةِ اللُّغَاتِ والْعَادَاتِ والدِّيَانَاتِ ، حَتَّى بَلَغَ سَاحِلَ الْمُحِيطِ الْهَادِي مِنْ شَرْقِيِّ آسيَا ، وَوَجَدَ عَلَى هَذَا السَّاحِلِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَشْتَغِلُونَ بِصَيْدِ السَّمَكِ مِنَ المُحِيطِ ، يَعِيشُونَ فِي كُهُوفٍ أَوْ مَغَارَاتٍ تَقِيهِمُ الْبَرْدَ وَالْحَرَّ ، ولَمْ تَكُنْ مَسَاكِنَ مَبْنِيَّةً ؛ لِأَنَّ أَرْضَ السَّاحِلِ كَانَتْ لَيِّنَةً رِخْوَةً لَا تَحْتَمِلُ ثِقَلَ البِنَاءِ .

وكَانَتْ الشَّمْسُ إِذَا طَلَعَتْ عَلَى تِلْكَ الْأَمَاكِنِ فِي الصَّبَاحِ ظَهَرَ قُرْصُهَا الْأَحْمَرُ الْجَمِيلُ كَأَنَّهُ يَطْفُو عَلَى وَجْهِ الْمُحِيطِ عِنْدَ نُقْطَةِ الْأُفُقِ الْبَعِيدِ .

وَلَمْ يَكُنْ هُنَاكَ شَجَرٌ وَلَا زَرْعٌ وَلَا جَبَلٌ يَسْتُرُهَا عَنْهُمْ أَوْ يَسْتُرُهُمْ عَنْهَا إِذَا طَلَعَتْ فِي الصَّبَاحِ ، أَوْ إِذَا اسْتَوَتْ فِي كَبِدِ السَّمَاءِ عِنْدَ الظَّهِيرَةِ .



إذا اعترضه فى الطريق نهر أو مخاضة عبره بسرعة

وَقَدْ أَشَارَ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ إِلَى ذَلِكَ فَقَالَ :

« حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَى قَوْمٍ لَمْ نَجْعَلْ لَهُمْ مِنْ دُونِهَا سِتْرًا » .

٦

لَمْ يَجِدْ ذُو الْقَرْنَيْنِ بِلادًا بَعْدَ الْمُحِيطِ يَغْزُوهَا ؛ فَعَادَ يَسِيحُ بِجَيْشِهِ فِي سُهُولِ الصِّينِ الْوَاسِعَةِ ، وَأَوْدِيَتِهَا الْخَصِيبَةِ ، وَهِضَابِهَا الْوَعْرَةِ ، حَتَّى بَلَغَ فَتْحَةً وَاسِعَةً عَرِيضَةً بَيْنَ جَبَلَيْنِ شَامِخَيْنِ ؛ وَوَجَدَ وَرَاءَ الْجَبَلَيْنِ أُمَّةً صَالِحَةً مِنَ النَّاسِ ، لَهَا دِينٌ وَإِيمَانٌ ، وَلَكِنَّهُمْ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ كَلَامَ غَيْرِهِمْ . لِأَنَّهُمْ مُنْقَطِعُونَ عَنِ النَّاسِ بِحُكْمِ وَضْعِهِمُ الطَّبِيعِيِّ ، وَانْعِزَالِهِمْ عَنِ النَّاسِ وَرَاءَ الْجَبَلِ .

كَانَتْ هَذِهِ الْفَتْحَةُ الْوَاسِعَةُ الَّتِي تَفْصِلُ بَيْنَ الْجَبَلَيْنِ سَبَبَ بَلَائِهِمْ وَشَقَائِهِمْ ، وَفَزَعِهِمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ، وَخَوْفِهِمْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ ، وَكَانَ هُنَالِكَ قَبِيلَتَانِ مُتَوَحِّشَتَانِ لَا دِينَ لَهُمَا ، وَلَا حَضَارَةَ ، يَفْتَرِسُونَ الدَّوَابَّ وَالْوُحُوشَ وَيَأْكُلُونَهَا ؛ فَإِنْ لَمْ يَجِدُوا مَا يَأْكُلُونَهُ مِنْهَا أَكَلُوا الْعُشْبَ . تُسَمَّى إِحْدَاهُمَا (يَأْجُوجَ) وَالْأُخْرَى تُسَمَّى (مَأْجُوجَ) .

وكانَتْ يَأْجُوجُ ومَأْجُوجُ كَثِيرًا ما تَنْحَدِرانِ مِنْ خِلَالِ الْفَتْحَةِ الْوَاسِعَةِ كَالسَّيْلِ الْمُنْهَمِرِ، فَيَتَدَفَّقُون عَلَى الْأُمَّةِ الصَّالِحَةِ الْمُتَدَيِّنَةِ، فَيُهْلِكُونَ الزَّرْعَ والثَّمَرَ، ويَسْلُبُونَ الْمَالَ والْمَاشِيَةَ وَيَقْتُلُونَ مَا تَصِلُ إِلَيْهِ أَيْدِيهِمْ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ والْأَطْفَالِ؛ لَا رَحْمَةَ تَحْجُزُهُمْ، وَلَا دِينَ يَمْنَعُهُمْ، وَلَا حَضَارَةَ تُنَظِّمَ لَهُمْ مَا بَيْنَهُمْ، وَبَيْنَ جِيرَانِهِمُ الْمَسَاكِينِ.

لَمَّا رَأَتِ الْأُمَّةُ الصَّالِحَةُ جَيْشَ ذِي الْقَرْنَيْنِ يَنْزِلُ بِبِلادِهَا دَاعِيًا إِلَى الْإِيمَانِ والْعَدَالَةِ — فَرِحَتْ بِهِ، وأَمَّلَتْ الْخَلَاصَ عَلَى يَدَيْهِ، وذَهَبَ وَفْدٌ مِنْ أَعْيَانِهَا وعُقَلَائِهَا فَقَابَلُوهُ. وأَعْلَمُوا أَنَّهُمْ مُؤْمِنُونَ بِاللهِ، وشَكَوْا إِلَيْهِ مَا يَلْقَوْنَ مِنْ يَأْجُوجَ ومَأْجُوجَ مِنَ الْفَسَادِ والْفَوْضَى، وذَكَرُوا لَهُ أَنَّ هَؤُلَاءِ الْمُتَوَحِّشِينَ يَتَنَاسَلُونَ بِكَثْرَةٍ؛ فَلَوْ أَنَّكَ اطَّلَعْتَ عَلَى دَرَجَةِ نُمُوِّهِمْ وَتَكَاثُرِهِمْ لَأَيْقَنْتَ أَنَّهُمْ سَيَمْلَئُونَ الْأَرْضَ عَنْ قَرِيبٍ، وَيَسْتَوْلُونَ عَلَيْهَا، ويُخْرِجُونَ أَهْلَهَا مِنْهَا، ويَعْمُرُونَهَا بَعْدَهُمْ بِالْفَسَادِ والْجَهْلِ.

وكانَ الْوَفْدُ قدْ عَرَفَ أَنَّ ذَا الْقَرْنَيْنِ قَدْ مُكِّنَ لَهُ فِى الْأَرْضِ، وأُوتِىَ مِنْ كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا؛ فَلَدَيْه الصُّنَّاعُ والْمُهَنْدِسُونَ والْعُلَمَاءُ ورِجَالُ الفَنِّ؛ فَطَلَبُوا إِلَيْهِ أَنْ يُقِيمَ سدًّا مَنِيعًا بَيْنَ الْجَبَلَيْنِ، يَسُدُّ الْفَتْحَةَ الَّتِى تَنْفُذُ مِنْهَا يَأْجُوجُ ومَأْجُوجُ، وعَرَضُوا عَلَيْهِ أَنْ يُعْطُوهُ أَجْرًا عَلَى ذَلِكَ.

فَلَمَّا سَمِعَ ذُو الْقَرْنَيْنِ مَا قَالُوا رَقَّ لِحَالِهِمْ، واغْتَاظَ لِمَا يَلْقَوْنَ مِنَ فَسَادِ الْهَمَجِ الْمُتَوَحِّشِينَ، فَقَالَ لِلْأُمَّةِ الصَّالِحَةِ:

إِنَّنِى لَا أَضْرِبُ فِى أَرْضِ اللهِ مِنْ أَجْلِ مالٍ أَجْمَعُهُ أَوْ مُلْكٍ أُسَيْطِرُ عَلَيْهِ، فَإِنَّ اللهَ أَقَامَنِى فِيهَا لِمَا هُوَ خَيْرٌ مِنَ الْمَالِ والْمُلْكِ، واخْتَارَ لِى أَنْ أَكُونَ دَاعِيًا إِلَى الْحَقِّ، مُجَاهِدًا لِدَفْعِ الطُّغْيَانِ والْفَوْضَى. فَلَكُمْ أَمْوَالُكُمْ، لَا شَأْنَ لِى بِهَا، ومَا عَلَيْكُمْ إِلَّا أَنْ تُعِينُونِى عَلَى بِنَاءِ السَّدِّ الَّذِى تُرِيدُونَ بِكُلِّ مَا تَسْتَطِيعُونَ مِنْ مَعُونَةٍ.

٧

أَمَرَ ذُو الْقَرْنَيْنِ أَهْلَ الْبِلَادِ أَنْ يَجْمَعُوا لَهُ مِقْدَارًا مِنْ قِطَعِ الْحَدِيدِ يَكْفِي بِنَاءَ السَّدِّ.

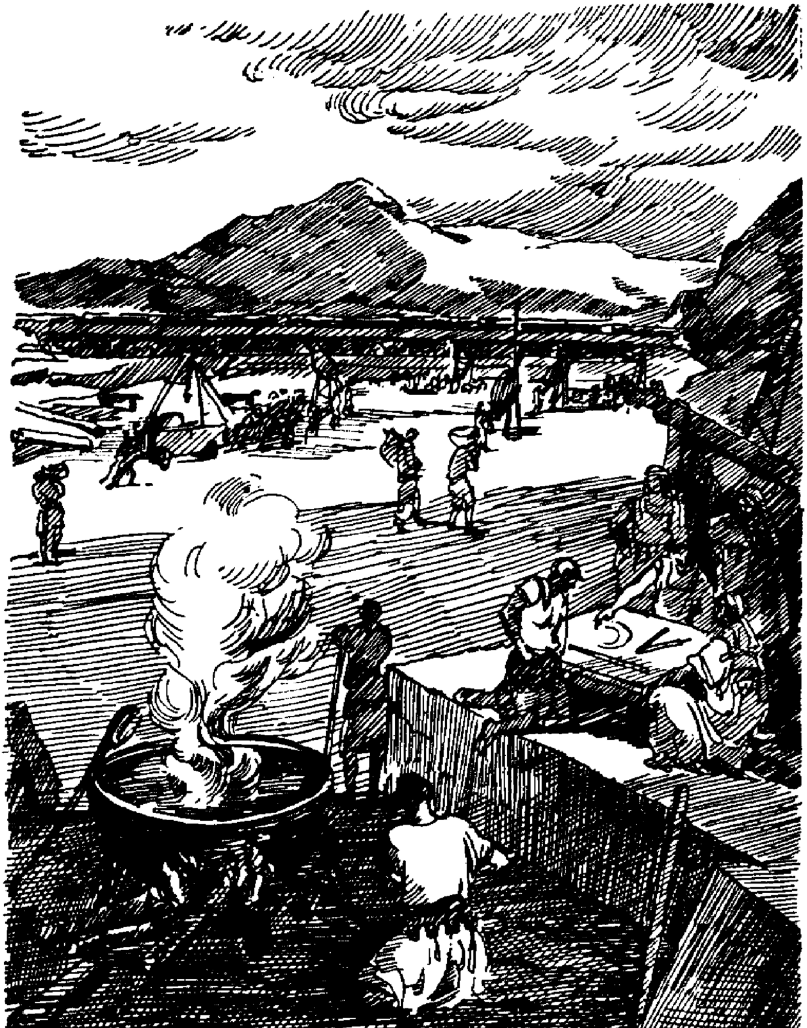
وَأَمَرَ الْمُهَنْدِسِينَ فَقَاسُوا ارْتِفَاعَ الْجَبَلَيْنِ وَعَرْضَ الْفَتْحَةِ الَّتِي بَيْنَهُمَا . . . .

وَأَمَرَ الْعُمَّالَ وَالْفَعَلَةَ فَحَفَرُوا الْأَسَاسَ فِي الْأَرْضِ حَتَّى بَلَغَ الْمَاءَ . . . .

وَجَعَلَ الْأَسَاسَ مِنَ الصَّخْرِ وَالنُّحَاسِ الْمُذَابِ الَّذِي يَشُدُّ كُلَّ صَخْرَةٍ إِلَى أُخْتِهَا . . .

وَلَمَّا ظَهَرَ الْأَسَاسُ إِلَى سَطْحِ الْأَرْضِ جَاءَ بِقِطَعِ الْحَدِيدِ فَمَدَّهَا طَبَقَةً بَعْدَ طَبَقَةٍ بَيْنَ الْجَبَلَيْنِ، وَحَشَا مَا بَيْنَ قِطَعِ الْحَدِيدِ بَعْضِهَا وَبَعْضٍ بِالْفَحْمِ . . وَمَا زَالَ يَرْفَعُ جِدَارَ الْحَدِيدِ الْعَرِيضِ طَبَقَةً فَوْقَ طَبَقَةٍ حَتَّى سَدَّ مَا بَيْنَ الْجَبَلَيْنِ إِلَى أَعْلَاهُمَا.

وَأَمَرَ بِإِيقَادِ النَّارِ فِي الْفَحْمِ الَّذِي بَيْنَ قِطَعِ الْحَدِيدِ، وَجِيءَ



المهندسون والعمال والفعلة يبنون السد

بالمنافِيخِ ، وَظَلَّ الْعُمَّالُ يَنفُخُونَ حَتَّى تَحَوَّلَ الْفَحْمُ جَمْرًا أَحْمَرَ، وَتَحَوَّلَتْ قِطَعُ الْحَدِيدَ. فَصارَتْ قِطَعًا مِنَ النَّارِ ... وَأَمَرَ بِنُحَاسٍ مُذَابٍ فَصُبَّ عَلَى الحَدِيدِ الْمُحْمَرِّ ، فَجَرَى النُّحَاسُ الذَّائِبُ فِيما بَيْنَ قِطَعِ الْحَدِيدِ مِنْ شُقُوقٍ وَفَجَوَات فَمَلأَهَا ، وَالْتَحَمَ بِقِطَعِ الحَدِيدِ ، وَرَبَطَ بَعْضَهَا بِبَعض بِرِبَاطٍ وَثِيقٍ . فَلَمَّا بَرَدَتْ النَّارُ وَجَمَدَ النُّحَاسُ واسْوَدَّ الحَدِيدُ نَظَرَ النَّاسُ فَإِذَا سَدٌّ ضَخْمٌ عَالِي الأَرْكَانِ ، مَنِيعُ البُنْيَانِ ، لَا حِيلَةَ لِلهَمَجِ فِيهِ . فَهُوَ غَلِيظٌ صُلْبٌ ، إِذَا أَرَادُوا أَنْ يَنقُبُوهُ ، وَهُوَ أَمْلَسُ مُرْتَفِعٌ إِذَا أَرَادُوا أن يَصْعَدُوا إِلَى أَعْلَاهُ .

فَلَمَّا رَآهُ ذُو الْقَرْنَيْنِ كَذَلِكَ حَمِدَ اللهَ وقَالَ :

هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي ؛ وقَدْ صَوَّرَ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ مَا كَانَ بَيْنَ ذِي الْقَرْنَيْنِ وَالأُمَّةِ الصَّالِحَةِ مِنْ حَدِيثٍ فِي شَأْنِ بِنَاءِ السَّدِّ ، فَقَالَ :

«حَتَّى إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا . قَالُوا : يَاذَا الْقَرْنَيْنِ ؛ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ

مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ ، فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَى أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ؟ ! قَالَ : مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ ، فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا . آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ ، حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انْفُخُوا ، حَتَّى إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا . فَمَا اسْطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ ، وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا » .

وَبِذَلِكَ أَمِنَتْ الْأُمَّةُ الصَّالِحَةُ عَلَى نَفْسِهَا ، وَأَقْبَلَتْ عَلَى مَا يُصْلِحُ أَمْرَهَا ؛ وَيُثَمِّرُ مَالَهَا ، وَيُعَمِّرُ أَرْضَهَا ؛ فَكَانَ ذُو الْقَرْنَيْنِ لَهَا رَحْمَةً مِنَ اللهِ جَلَّ شَأْنُهُ .

وَبَعْدُ ؛ فَمَاذَا جَنَى ذُو الْقَرْنَيْنِ لِنَفْسِهِ مِنْ كُلِّ هٰذِهِ الرِّحَلَاتِ الطَّوِيلَةِ الشَّاقَّةِ ، وَالْحُرُوبِ الْمُرْهِقَةِ ، وَالْأَعْمَالِ الْهَائِلَةِ ؟ !

لَوْ أَنَّهُ كَانَ يَعْمَلُ لِمَالٍ لَكَانَ أَغْنَى أَهْلِ عَصْرِهِ . لٰكِنَّهُ كَانَ مُؤْمِنًا بِاللهِ ، يَبْتَغِي رِضَاه ، وَيَعْمَلُ لِنَيْلِ مَثُوبَتِهِ فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ ؛ فَقَضَى حَيَاتَه فِي إِصْلَاحِ الْأَرْضِ وَعِمَارَتِهَا ،

وَدَعْوَةِ النَّاسِ إِلَى اللهِ ، وَإِقَامَةِ مَعَالِمِ الْعَدَالَةِ بَيْنَهُمْ ؛ فَاسْتَحَقَّ أَنْ يُنَوِّه اللهُ بِشَأْنِهِ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ ؛ لِيَقْتَدِيَ بِسِيرَتِهِ كل رَاغِبٍ فِي الْمَجْدِ ، وَرِفْعَةِ الشَّأْنِ ، وَنَبَاهَةِ الصِّيتِ .

مجموعة القصص الدينية

تتضمن هذه المجموعة قصصاً شائقة ، فيها تنوير للقلب ، ودعوة إلى الحق ، وإيمان بالمبدأ ، واتصال بالله . جرت حوادثها مع رجال غلبت عليهم الروحانية ، وأعلنوا الحق غير مبالين أن يصيبهم ما يصيبهم ، ولو كان فيه تلف نفوسهم : فهى الشجاعة فى إبداء الرأى ، ونصرة الحق ، والأخذ بيد المظلوم ، وهى ثورة على الفساد ، ومحاربة الطغيان ! ثم انتصار الحق والفضيلة والخلق الكريم .

١ – قابيل وهابيل	١١ – عام الفيل
٢ – سبأ	١٢ – زمزم
٣ – ذو القرنين	١٣ – مؤمن آل فرعون
٤ – قارون	١٤ – طالوت وجالوت
٥ – موسى والخضر	١٥ – العزير وحماره
٦ – بقرة بنى إسرائيل	١٦ – شكر النعمة
٧ – أصحاب القرية	١٧ – الإسراء والمعراج
٨ – أهل الكهف	١٨ – سدرة المنتهى
٩ – أصحاب الأخدود	١٩ – بائع الأمراء
١٠ – أصحاب الفيل	٢٠ – جريج العابد

ثمن النسخة ٣ قروش

دار المعارف

ملتزم التوزيع : مؤسسة المطبوعات الحديثة